الفَصْلُ الرَّابع

الإعْدَادُ بالإيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ ورسالاته

مُقَدِّمَةُ الفصل:

إن الإعْدَاد بالإيمَان بِكُتُب الله ﷻ ورسالاته، والصحف السماوية؛ هو رابعُ مُقَوِّم من مقومات الإعداد الإيماني للأُمَّة، والإيمان بالكتب والرسالات هو أصل كبير من أصول الدين، وركن عظيم من أركان الإيمان الستة؛ التي لا يصح إيمان العبد إلا بالإعداد لها؛ إعداداً واجباً وجوباً عينيّاً.

ولقد أعدَّ الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ وعباده المؤمنين؛ بالإيمان بكُتُب الله ﷻ ورسالاته؛ فقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ... ﴿١٣٦﴾ ﴾ (القرآن. النساء، ٤: ١٣٦) أي: يا أيها الذين آمنوا؛ بعد إعدادكم بالإيمان بالله ﷻ وتوحيده، وأنه على كل شيء قدير، وبعد إعدادكم بالإيمان برسل الله وأنبيائه ﷺ وتصديقهم؛ فعليكم بإعداد أنفسكم بالإيمان بِكُتُب اللهِ ﷻ ورسالاته جميعها إجمالاً؛ وعلى رأسها والمهيمن عليها القرآن الكريم تفصيلاً.

والكتب السماوية وخاتمها القرآن الكريم؛ هي رسائل الله ﷻ إلى عباده، أنزلها الله بواسطة أشرف ملائكته وهو جبريل ﷺ؛ على أشرف خلقه من رسله ﷺ؛ وأنزلها الله ﷻ لهداية العباد ولتحكيم شرع الله ﷻ في البلاد، قال ﷻ مُعِدّاً عباده بالإيمان بالقرآن: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ (القرآن. فصلت ٤١: ٤٤) وقال ﷻ: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ... ﴿٢١٣﴾﴾ (القرآن. البقرة ٢: ٢١٣). وقال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾﴾ (القرآن. النساء ٤: ١٠٥)

والإيمان بكُتُب الله ﷻ ورسالاته؛ هو الركن الثالث من أركان الإيمان الستة؛ من حيث الترتيب الوجودي والتنزيل الإلهي (٢١٧)؛ كما في حديث جبريل عليه السلام المشهور؛ حين سأل جبريل عليه السلام الرسول ﷺ عن الإيمان؟ فأجابه ﷺ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» (٢١٨).

وهنا رأى الباحث تناول ركن الإيمان بِكُتُب الله ﷻ ورسالاته؛ ركناً رابعاً؛ من حيث تسلسل البحث العلمي؛ بإضافته بعد الإعْدَاد بالإيمان بالله ﷻ وتوحيده، وقدره، والإيمان برُسُله وأنبيائه؛ وكذلك تقديمه على ركني الإيمان بالملائكة واليوم الآخر؛ وذلك مراعاةً لاعتبار الترتيب الذهني البشري؛ ولتتبع التسلسل الواقعي من جهة البشر، ومراعاة للترتيب الإعدادي الدعوي؛ الذي يراعي حال المدعو؛ الذي يُرادُ إعداده فرداً كان أم أُمّة، قال ﷻ آمراً عباده بأن يُعِدُّوا بتسلسل واقعي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ ... ﴿١٣٦﴾﴾ (القرآن. النساء ٤: ١٣٦).

فمن آمن بالله ﷻ رباً قادراً على كل شيء؛ وآمن برُسُل الله ﷻ وأنبيائه وصدَّقهُم برسالاتهم؛ لَزِمَ منه الإيمان بِكُتُب الله ﷻ ورسالاته التي أنزلها عليهم، وأخبرهما على ألسنتهم؛ والتي أخبرنا بغيب عالم الملائكة واليوم الآخر؛ ولأن كُتُب الله ﷻ ورسالاته؛ تأتي من الله القدير ﷻ عن طريق الرُّسُل والأنبياء ومن خلال كُتُب الله ﷻ ورسالاته؛ يتم الإعْدَاد بالإيمان بالملائكة واليوم الآخر كغيب.

---

(٢١٧) يُنظر: منهجية ترتيب الفصول والمباحث. ص. ٢٢.

(٢١٨) رواه مسلم. ١٣٧٥ هـ. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب معرفة الإيمان و الإسلام و القدر. ج. ١: ٣٦. برقم ٨.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وعلى هذا الترتيب الواقعي أُعِدَّ الصحابة ﷺ كما صرح به الصحابي الجليل عَبْد اللهِ بْنَ عُمَرَ ﷺ، إذ قَالَ: "لَقَدْ لَبِثْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرٍ، وَأَحَدُنَا لَيُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ. تَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَنَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَأَمْرَهَا وَزَاجِرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهَا كَمَا يَتَعَلَّمُ أَحَدُكُمُ السُّورَةَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ؛ يَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، مَا يَعْرِفُ حَلَالَهُ وَلَا حَرَامَهُ، وَلَا أَمْرَهُ وَلَا زَاجِرَهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ؛ وَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ"(٣٢٩).

وعن الصحابي جندب بن عبد الله ﷺ قَالَ: "كُنَّا غِلْمَانًا حَزَاوِرَةً(٣٣٠) مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيُعَلِّمُنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا، وَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ تُعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ"(٣٣١).

وسينتظم الحديث عن كَيْفِيَّة إعداد المسلم بالإيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالَاتِه؛ وفق المنهج القرآني والنبوي؛ عبر مباحث ثلاثة؛ خُصِّصَ الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ منها: لبيان ماهية الْإِعْدَاد بِالْإِيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالَاتِه، وَأَهَمِّيَّتِه. وناقش الْمَبْحَثُ الثَّانِي: التعريف بأبرز ما يُعَدُّ به العبد في باب الإيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالَاتِه، وَكَيْفِيَّة تحقيقه. وعرض الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: بيان بعض الثمار المرجوة من الْإِعْدَاد بِالْإِيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالَاتِه.

---

(٣٢٩) رَوَاهُ ابن مَنْدَه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد. ١٤٠٦ هـ. *الإيمان لابن منده*. تحقيق علي بن محمد بن ناصر الفقيهي. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج. ١: ٣٦٩. برقم ٢٠٧. قَالَ ابن مَنْدَه: "هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَى رَسْمِ مُسْلِمٍ وَالْجَمَاعَةِ إِلَّا الْبُخَارِيَّ".

(٣٣٠) حزاورة: جمع حزور. أي الولد إذا قارب أن يبلغ. يُنْظَرُ: ابن قتيبة الدينوري. ١٣٩٧ هـ. *غريب الحديث*. ج. ٣. ص. ٧٥٨.

(٣٣١) رَوَاهُ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م. *السنن الكبرى*. محمد عبد القادر عطا. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. ٣: ١٧١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ

مَاهِيَّةُ الإِعْدَادِ بِالإِيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالاَتِه، وَأَهَمِّيَّته

الْمَطْلَبُ الأَوَّلُ: مَاهِيَّةُ الإِعْدَادِ بِالإِيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالاَتِه

الإِعْدَادُ بِالإِيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالاَتِه؛ يعني تهيئة الفرد إِيمَانِيّاً وعَقَدِيّاً؛ ليكون صاحب عقيدة بالإِيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالاَتِه؛ فينعقد عليها قلبه بالتصديق الجازم، والإقرار الكامل[٣٣٢] بجميع كلام الله ﷻ وما أوحى به على رسله وأنبيائه ﷺ، وما أمرهم بتبليغه للعباد؛ من كتب، وصحف، ورسالات، وإلهامات، إجمالاً. وأن يؤمن بأخبارها وخيرها، وحاكمها، والمصدّق لها، وناسخها، والمهيمن عليها؛ كتاب رب العالمين القرآن المبين على الإجمال والتفصيل.

فالإيمان بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالاَتِه: هو أن تؤمن؛ فتُصَدِّق وتُقِرّ بأن جميعها كلام الله ﷻ الذي تكلم به حقيقةً على الوجه الذي يليق بجلاله، ووحيه[٣٣٣] الذي أوحاه إلى رُسله وأنبيائه ﷺ؛ إما إلهاماً وقذفاً مباشرة في قلب الرسول والنبي يقظة أو مناماً، أو كلاماً مباشراً للرسول والنبي من وراء حجاب، أو من خلال ملك يحمل الوحي ويبلغه مشافهة إلى الرسول والنبي، قالَ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ (القرآن. الشورى ٤٢: ٥١). قالَ الإمام ابن كثير ﷺ: "هَذِهِ مَقَامَاتُ الْوَحْيِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَنَابِ اللهِ ﷻ"[٣٣٤].

---

(٣٣٢) يُنظر: ما سطره الباحث في تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً؛ تحت عنوان مفاهيم ومصطلحات الدراسة، في الفصل الأول، ص٢٥.

(٣٣٣) الوحي: معناه في لسان الشرع أن يُعْلِم الله ﷻ من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم؛ ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر. يُنظر: الزُّرْقاني. ١٣٩٢ هـ. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. ج. ١. ص. ٦٣.

(٣٣٤) ابن كثير. ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ٧. ص. ٢١٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ومن مقامات وحيه ﷻ أن يأمر القلم بكتابة الوحي أو يكتبه ﷻ بيده على الوجه الذي يليق بجلاله؛ من غير كيف ولا تشبيه ولا تجسيم. كما أمر الله ﷻ القلم بكتابة اللوح المحفوظ، وكما كتب ﷻ التوراة بيده؛ قَالَ ﷻ واصفاً كتابته: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ... ﴿١٤٥﴾﴾ (القرآن. الأعراف ٧: ١٤٥). وروى الرسول ﷺ عن آدم عليه السلام أنَّه قَالَ لموسى عليه السلام: "اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ"(٣٣٥). (٣٣٦).

فيجب الإيمان إجمالاً بكل ما أوحى الله ﷻ به على رُسله وأنبيائه عليهم السلام؛ مما أخبرنا الله ﷻ به في كتابه وما صح من سنة نبيه ﷺ، قَالَ ﷻ: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ... ﴿١٦٣﴾﴾ (القرآن. النساء ٤: ١٦٣). سواءً كان وحياً في صحف؛ كالصحف التي أنزلها الله ﷻ على رُسُله إبراهيم عليه السلام، وموسى عليه السلام، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ (القرآن. الأعلى ٨٧: ١٨ – ١٩). أو كانت وحياً في كتب؛ ككتاب التوراة الذي أنزله الله ﷻ على موسى عليه السلام، كما روى الرسول ﷺ عن آدم عليه السلام أنَّه يقول للناس يوم القيامة: «ائْتُوا مُوسَى، عَبْدًا آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ، وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا»(٣٣٧). وككتاب الزبور الذي أنزله الله ﷻ على نبيه داوود عليه السلام، قَالَ ﷻ: ﴿... وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ (القرآن. الإسراء ١٧: ٥٥). وككتاب الإنجيل الذي أنزله الله ﷻ على عبده ورسوله عيسى عليه السلام، قَالَ ﷻ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ... ﴿٢٧﴾﴾ (القرآن. الحديد ٥٧: ٢٧). كما ويجب الإيمان إجمالاً وتفصيلاً بخاتم الكتب القرآن الكريم المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ؛ وأنه نور وهدى للعالمين، قَالَ ﷻ لرسوله محمد ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ (القرآن. الإنسان ٧٦: ٢٣).

---

(٣٣٥) رَوَاهُ ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م. سنن ابن ماجه. تحقيق شعيب الأرناؤوط. بيروت: دار الرسالة العالمية. ج. ١: ٥٨. برقم ٨٠. قَالَ مُحَقِّقُهُ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٣٣٦) ملاحظة: مذهب السلف هو الأسلم والأحكم؛ في أمثال هذا الوصف: فَيُثبتُ لله ﷻ ما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ، ويُفوِّضُ كيفية الوصف لله ﷻ؛ استناداً على القاعدة العقائدية الربانية في قوله ﷻ: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى ٤٢: ١١). قَالَ الإمام ابن الملقن الشافعي رحمه الله: "وهذا لا يوصف إلا بما في النص، لا يزاد عليه بحاسة، ولا غيرها" يُنْظَرُ: ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الشافعي. ١٤٢٩ هـ. *التوضيح لشرح الجامع الصحيح*. تحقيق دار الفلاح. دمشق: دار النوادر. ج. ٣٠. ص. ١٦٢.

(٣٣٧) رَوَاهُ البُخَارِيُّ. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب التوحيد. بابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾. ج. ٩: ١٢٢. برقم ٧٤١٠.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بل يجب الإيمان إجمالاً وتفصيلاً بما كان وحياً من الله ﷻ من غير كتاب؛ كالذي أوحاه الله ﷻ للرسول محمد ﷺ مما صح عنه من السُّنَّة القولية والفعلية والتقريرية، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (القرآن. النجم ٥٣: ٣ – ٤). وقَالَ ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»(٣٣٨).

فيجب الإعْتِقَاد بِالإِيمَانِ بالكتب والصحف السماوية جميعها؛ وأن بعضها يصدق بعضاً في توحيد الله وحده لا شريك له ولا يُكذبه، وأن لاحقها ينسخ كل أو بعض شريعة سابقها، وأن شرائعها كانت صالحة وواجبة على الأمم والأقوام التي نزلت عليهم قبل أن يُحَرِّفوها، وقبل نسخها؛ وأنهم كان عليهم تصديقها والانقياد لها وتحكيمها فيما بينهم، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٤٤﴾ ... ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٥ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٦ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤٧ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٤٨﴾ (القرآن. المائدة ٥: ٤٤ – ٤٨). فلقد أنزل الله ﷻ التوراة، ثم صدقها بالإنجيل، ثم صدقهما وهيمن عليهما بالقرآن الكريم ونسخهما.

---

(٣٣٨) رَوَاهُ أحمد بن حنبل. ١٤١٦ هـ. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. ج. ٢٨: ٤١٠. برقم ١٧١٧٣. وصححه مُحَقِّقُهُ شعيب الأرناؤوط.

ولقد توعد الله ﷻ من يكفر بالكتب والصحف السماوية أو بواحد منها، أو من كذَّب ببعضها، أو حرفها وبدلها، أو أبى الانقياد لأحكامها لمن تعلق خطابها به؛ بالإضلال، والنكال في الدنيا، وحرمانه دخول جنة الآخرة، فقال ﷻ: ﴿... وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ (القرآن. النساء ٤: ١٣٦). فمن كذب بالكتب والرسالات من الأمم السابقة؛ أهلكه الله ﷻ في الدنيا والآخرة، قال ﷻ: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ (القرآن. الأعراف ٧: ٩٣).

ويجب الإيمان بالكتب المحرفة والمنسوخة التي قبل القرآن على سبيل الإجمال فقط؛ وأنها نزلت من عند الله ﷻ وحُرِّفت أو نُسِخت، أما تفاصيل شرائعها المحرفة أو المنسوخة فلا يجب الإيمان بما فيها بعد تحريفها ونسخها، إلا ما أقره القرآن الكريم منها، أما ما كذبه القرآن فوجب تكذيبه، وأما ما سكت عنه فحُكمُهُ السكوت عنه؛ وألا نُصدقه ولا نُكذبه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: ﴿... آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ (القرآن. البقرة ٢: ١٣٦-١٣٧)». (٣٣٩).

---

(٣٣٩) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن. باب ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾. ج. ٦: ٢٠. برقم ٤٤٨٥.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: أَهَمِّيَّة الإِعْدَادِ بالإِيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالاَتِه:

ومن ناحية أَهَمِّيَّة الْإِعْدَاد بِالْإِيمَانِ بكتب الله ﷻ ورسالاته؛ فإن له أَهَمِّيَّة عظيمة، فهو أصل من أصول الدين وركن من أركان الإيمان، ولأهميته فقد أَعَدَّ الله ﷻ نبيه ﷺ بالإيمان بالكتب والرسلات إجمالاً فقَالَ: ﴿... وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ... ﴿١٥﴾﴾ (القرآن. الشورى ٤٢: ١٥).

ولأهمية الْإِعْدَاد بِالْإِيمَانِ بكتب الله ﷻ ورسالاته؛ أَعَدَّ الله ﷻ عباده عامة بالإيمان بالكتب والرسالات إجمالاً وتفصيلاً، فقَالَ ﷻ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ (القرآن. البقرة ٢: ١٣٦). ولأهمية الْإِعْدَاد بِالْإِيمَانِ بكتب الله ﷻ ورسالاته؛ استجاب رسول الله ﷺ والمؤمنون للإعداد بالكتب والرسالات السماوية؛ حتى قَالَ ﷺ مادحاً إياهم: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ... ﴿٢٨٥﴾﴾ (القرآن. البقرة ٢: ٢٨٥).

ومن أَهَمِّيَّة الْإِعْدَاد بِالْإِيمَانِ بكتب الله ﷻ ورسالاته السماوية؛ تحقيق السعادة الدنيوية والأُخروية للإنسان، وتُنير له طريقه بالإيمان؛ فجميع الكتب والرسالات جاءت بالحق والهدى والنور المبين؛ لتخرج الناس من ظلمات عبادة العباد إلى نور عبادة رب العباد؛ ولتكون عليهم حجة يوم الميعاد.

قَالَ ﷻ واصفاً هدى التوراة ونوره: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ... ﴿٤٤﴾﴾ (القرآن. المائدة ٥: ٤٤). وقَالَ ﷻ واصفاً هدى الإنجيل ونوره: ﴿... وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ... ﴿٤٦﴾﴾ (القرآن. المائدة ٥: ٤٦).

وقَالَ ﷻ واصفاً هداية القرآن الكريم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ... ﴿١٨٥﴾﴾ (القرآن. البقرة ٢: ١٨٥). وقَالَ ﷻ وصفاً نور القرآن: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ (القرآن. إبراهيم ١٤: ١).

وقَالَ ﷺ واصفاً هدى القرآن الكريم ونوره، ومُعِدّاً أمّته بالاستمساك به: «... كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضلّ...»(٣٤٠).

وتكمن أهمّيّة الإعداد بكتب الله ﷻ ورسالاته السماوية في تحقيق الاستقرار في الدين، والتمكين ووحدة الصف بين المسلمين؛ من خلال تحكيم شرع رب العالمين.

فالمسلم يعتقد بأن مصدر الكتب والرسالات واحد، وأن هدفها واحد يصدق بعضها بعضاً، وأنزلت لتكون منهج حياة للثقلين ينقادون بها ويتحاكمون لها؛ فيطمئن المسلم ويزداد ثقة أن كتابه القرآن الكريم الذي بشرت به كل الكتب التي سبقته؛ هو خاتم الكتب ومصدقها والمهيمن عليها، والمحفوظ من رب العالمين من التحريف والتبديل؛ فتجعله يتسابق في الخيرات وهداية أهل الكتب السماوية السابقة وقيادتهم، قَالَ ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (القرآن. المائدة ٥: ٤٨).

---

(٣٤٠) رواهُ مُسْلِمٌ. ١٣٧٥ هـ. صحيح مسلم. كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ﷺ. بَابُ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ. ج. ٤: ١٨٧٤. برقم ٢٤٠٨.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ويختتم الباحث الكلام عن مدى أَهَمِّيَّة الإِعْدَاد بِالْإِيمَان بكتب الله ﷻ ورسالاته بتقريرٍ رَتِيبٍ؛ للأديبِ سيد قطب ﷺ؛ يقرر فيه أن كتب الله ﷻ ورسالاته إنما أنزلت لتكون منهج حياة للثقلين؛ وأن سبب الشقاء والبلاء الذي تعانيه الأُمَّة الإسلامِيَّة والأمم الأخرى اليوم؛ إنما هو بسبب هجر كتاب الله ﷻ ورسالاته؛ فقالَ ﷺ: "لقد جاء كل دين بكتاب من عند الله ﷻ ليكون منهج حياة؛ منهج حياة واقعية. جاء الدين ليتولى قيادة الحياة البشرية، وتنظيمها، وتوجيهها، وصيانتها... والحياة البشرية لا تستقيم إلا إذا تلقت العقيدة والشعائر والشرائع من مصدر واحد... فأما حين تتوزع السلطة، وتتعدد مصادر التلقي... حينئذ تتمزق النفس البشرية بين سلطتين مختلفتين، وبين اتجاهين مختلفين، وبين منهجين مختلفين. وحينئذ تفسد الحياة البشرية ذلك الفساد الذي تشير إليه آيات القرآن في مناسبات شتى، قَالَ ﷻ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (القرآن. الأنبيا، ٢١: ٢٢). وقَالَ ﷻ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ (القرآن. المؤمنون ٢٣: ٧١). ... فمن أجل هذا جاء كل دين من عند الله بكتاب ليكون منهج حياة؛ وليُعِدَّ البشرية بكلام ربها، وأحكامه، وأوامره ونواهيه؛ وليكون ربيعاً لقلوبهم ونور، وذهاباً لأحزانهم وسرور"(٣٤١).

فاللَّهُمَّ اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا(٣٤٢)؛ وارزقنا تلاوته وفهمه، والعمل بأحكامه، وحَكِّمهُ فينا؛ وارْضِنَا بحُكمِه. ومَكِّن له أن يسود البلاد ويحكم العباد.

---

(٣٤١) سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي. ١٤١٢ هـ. *في ظلال القرآن*. الطبعة السابعة عشر. القاهرة: دار الشروق. ج. ٢. ص. ٨٩٦ بتصرف يسير.

(٣٤٢) هذا الدعاء، مأثور عن النبي ﷺ، وهو طرف من حديث قَالَ فيه ﷺ: "ما قَالَ عبد قط إذا أصابه هَمٌّ وحَزَنٌ: اللهم إني عبدُك وابنُ عبدك وابنُ أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حُكْمُك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سمَّيتَ به نفسَك، أو أنزلتَه في كتابك، أو علَّمته أحداً من خلْقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآنَ ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاءَ حزني، وذَهابَ همِّي، إلاَّ أذهب الله عز وجل همَّه، وأبدله مكان حُزْنه فَرَحاً"، قَالُوا: يا رسول الله، ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟، قالَ: "أجَلْ، ينبغي لمن سمعهنَّ أن يتعلمهنَّ". رواهُ أحمد بن حنبل. ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. ج. ٤: ٢١٥.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ورحم الله صدى[٣٤٣] الإمام القحطاني ﷺ عندما أعَدَّ نفسه بالقرآن الكريم في بداية مطلع منظومته النُّونيَّة؛ سائلاً الله ﷻ أن يوفقه في نظمها بحرمة وبركة كتابه البليغ؛ حيث قَالَ ﷺ[٣٤٤]:

يَا مُنْزِلَ الآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ ••• بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ

اِشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لِمَعْرِفَةِ الْهُدَى ••• وَاعْصِمْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الشَّيْطَانِ

يَسِّرْ بِهِ أَمْرِي وَأَقْضِ مَآرِبِي ••• وَأَجِرْ بِهِ جَسَدِي مِنَ النِّيرَانِ

وَاحْطُطْ بِهِ وِزْرِي وَأَخْلِصْ نِيَّتِي ••• وَاشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَصْلِحْ شَانِي

وَاكْشِفْ بِهِ ضُرِّي وَحَقِّقْ تَوْبَتِي ••• وَارْبِحْ بِهِ بَيْعِي بِلاَ خُسْرَانِ

طَهِّرْ بِهِ قَلْبِي وَصَفِّ سَرِيرَتِي ••• أَجْمِلْ بِهِ ذِكْرِي وَأَعْلِ مَكَانِي

وَاقْطَعْ بِهِ طَمَعِي وَشَرِّفْ هِمَّتِي ••• كَثِّرْ بِهِ وَرَعِي وَأَحْيِ جَنَانِي

أَسْهِرْ بِهِ لَيْلِي وَأَظْمِ جَوَارِحِي ••• أَسْبِلْ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي

اِمْزِجْهُ يَا رَبِّي بِلَحْمِي مَعْ دَمِي ••• وَاغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الأَضْغَانِ

قَالَ الباحث: اللَّهُمَّ آمين. فاللَّهُمَّ أسألك بحرمة القرآن الكريم وبركته؛ أن تُعينني وتوفقني لإتمام صرح الإعداد القويم، لأُمَّة نبيبك الكريم، على نهج كتابك العظيم. وأسألك اللَّهُمَّ أن ترزقني في إتمامه، وبَعدَ كَمَالِه؛ الإخلاص، والسداد، والحكمة، في القول، والاعتقاد، والعمل. وأسألك اللَّهُمَّ أن تكتب لِمَا خَبَّرتُهُ القبول، وأن تجعل صداه يبلغ الآفاق؛ كما بَلَغَ صدى القرآن الطِّبَاق؛ بفضلك وجودك وكرمك يا كريم.

---

(٣٤٣) صَدى الصوت: الَّذي يُجيبُ صوتَ المنادي، أو تردد الصوت في الأفق. يُنْظَرُ: الأزهري. ٢٠٠١م. *تهذيب اللغة*. ج. ١٢. ص. ١٥٢.

(٣٤٤) القحطاني. د.ت. *القصيدة النونية*. ص. ٢٢. ص ٢٩.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الْمَبْحَثُ الثَّانِي

التَّعْرِيفُ بِأَبْرَزِ مَا يُعَدُّ بِهِ الْمُسْلِمُ فِي بابِ الإِيمانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالاَتِه وَكَيفِيَّةُ تَحقِيقِه

إن أبرز وأهم ما يُعَدُّ بِهِ المسْلِمُ في باب الإيمان بكتبِ الله ﷻ ورسالاته؛ هو إعداده بالإيمان بالقرآن الكريم، وهو كلام الله ﷻ المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ لهداية الثقلين أجمعين، والمصدق والناسخ والمهيمن لما قبله من كتب رب العالمين؛ وهو خاتمها فلا كتاب يأتي بعده، المعجز بلفظه ونظمه، المنقول بالتواتر حفظاً في الصدور والسطور، المكتوب في المصاحف من سورة (الفاتحة) إلى سورة (الناس) من غير تحريف ولا زيادة ولا نقصان، المتعبد بتلاوته وتدبره وتحكيمه والعمل به[٣٤٥].

قَالَ ﷻ مُعِدّاً رسوله ﷺ والمؤمنين بالإيمان بالقرآن الكريم: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ (القرآن. الأعراف ٧: ٢ – ٣). وقَالَ ﷺ مُعِدّاً أمّته بالإيمان بالقرآن الكريم: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا، وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»[٣٤٦].

والقرآن الكريم له أسماء كريمة، وصفاتٌ عظيمة كثيرة؛ وهذا يدل على علوّ منزلته، وشرف قَدْرِه، قَالَ الإمام شرف الدين النووي ﷺ: "واعلم: أن كثرة الأسماء تدل على عظم المسمّى"[٣٤٧].

---

(٣٤٥) – يُنظرُ: الزُّرْقاني. ١٣٩٢ هـ. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. ج. ١. ص. ١٩. ويُنظرُ: أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم. ٢٠٠٣م. *المدخل لدراسة القرآن الكريم*. القاهرة: مكتبة السنة. ص. ٢١. بتصرف كبير.

(٣٤٦) رواهُ ابن حبان. ١٤١٤ هـ. *صحيح ابن حبان*. ج. ١: ٣٢٩. برقم ١٢٢. قال مُحَقِّقُهُ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن على شرط مسلم.

(٣٤٧) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. د.ت. *تهذيب الأسماء واللغات*. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. ٤. ص. ١٥٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ومن أسماء القرآن الكريم: الكتابُ، والتنزيلُ، والذكرُ، والبرهانُ، والفرقانُ. ومن صفاته العظيمة: الكريمُ، والمجيدُ، والعزيزُ، والحكيمُ، والهدىٰ، والرحمةُ، والنورُ، والبلاغُ والموعظةُ، والذِّكرُ والتذكرةُ، والبيانُ والمبينُ، والبشيرُ النذير.

ويكفي القرآن الكريم شرفاً أنَّه كلام الله ﷻ وكفى. وما أجمل ما رُوي موقوفاً على أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ﷺ أنَّه قَالَ عن القرآن الكريم: "كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿...إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝﴾ مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"(٣٤٨)

ويتحقق الإعْدَاد بِالإيمَانِ بِالقرآن الكريم بأربع خطوات رئيسة:

أَوَّلُهَا: إعداد المسلم بالإيمَانِ بِإلهِيَّةِ مَصْدَرِ القُرْآنِ وأَنَّهُ مُعْجِزٌ مِنْ أَوْجُهٍ عِدَّةٍ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَان.

وَثَانِيهَا: إعداد المسلم بِعُمُومِيَّةِ وشُمُولِ رِسَالَةِ القُرْآنِ وأَنَّهُ خَاتِمٌ لِكُتُبِ الأَدْيَانِ وشَرَائِعِ الإِنسَان.

وَثَالِثُهَا: إعداد المسلم بالإيمَانِ بِأَنَّ القُرآنَ مَحْفُوظٌ مِنَ التَّحْرِيفِ والتَّبْدِيلِ والزِّيَادَةِ والنُّقصَان.

وثُمَّ رَابِعُهَا: إعداد المسلم بِالتَّعَبُّدِ بِتِلاوَةِ القُرْآنِ وَتَدَبُّرِهِ والعَمَلِ بِهِ والانْقِيَادَ لَهُ وتَحْكِيمِهِ فِي جميع الشأن.

---

(٣٤٨) رَوَاهُ الترمذي. ١٣٩٥هـ. *سنن الترمذي*. ج. ٥: ١٧٢. برقم ٣٠٠١. قال مُخَفَّفُهُ الألباني في شرح الطحاوية هذا حديث جميل المعنى، ولكن إسناده ضعيف، ولعل أصله موقوف على عليّ ﷺ. يُنْظَرُ: ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد. ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. *شرح العقيدة الطحاوية*. تحقيق جماعة من العلماء. تخريج ناصر الدين الألباني. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة عن مطبوعة المكتب الإسلامي. ص. ٧١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

فمن أَعَدَّ نفسه بهذه الخطوات الأربع فقد حقق الإيمان بالقرآن. وفيما يلي التفصيل في كَيْفِيَّة الْإِعْدَاد بِالْإِيمَانِ بالقرآن بأربع خطوات:

الخُطْوَةُ الأُولَى: الإعْدَادُ بالإيمَانِ بِإِلَهِيَّةِ مَصدَرِ القُرْآنِ وأَنَّهُ مُعْجِزٌ مِنْ أوجُه عِدَّةٍ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَان.

ويتحقق الإعْدَادُ بالإيمَانِ بِإِلَهِيَّةِ مَصدَرِ القُرْآنِ الكريم؛ بالتصديق الجازم والإقرار الكامل بأن القرآن الكريم كتاب الله العظيم، أنزله الله ﷻ بواسطة أعظم ملائكته جبريل عليه السلام على أعظم رُسُله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وبأعظم طرق الوحي وأقواها(٣٤٩) هدىً ورحمة لأعظم وخير أُمَّة أخرجت للناس.

ويتحقق الإعْدَادُ بالإيمَانِ بِإِلَهِيَّةِ مَصدَرِ القُرْآنِ الكريم؛ بالتصديق الجازم والإقرار الكامل؛ بأن القرآن الكريم كله كلام الله ﷻ على الحقيقة لفظاً ومعنى؛ تكلم الله به كما يليق بجلاله من غير كيف(٣٥٠)؛ فيضاف القرآن إلى الله ﷻ من باب إضافة الكلام لقائله.

ولقد أَعَدَّ الله ﷻ عباده بأن القرآن الكريم من كلماته؛ وأنه ﷻ أنزله على رسوله ﷺ ليكون للعالمين بشيراً ونذيرا، قَالَ ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ

---

(٣٤٩) أي: من خلال تحمل الملك جبريل عليه السلام الوحي من الله ﷻ وإبلاغه، ثم يتبعه مشافهة إلى الرسول ﷺ في حال يقظته؛ فيأتيه خفياً مثل صلصلة الجرس وهي أشد حالة على الرسول محمد ﷺ، حيث يكون ﷺ في حالة روحية خاصة يستعد فيها لتلقي الوحي عن جبريل عليه السلام، ولا يدرك الحاضرون عنده ﷺ منها إلا أماراتها الظاهرة: كتفل بدنه ﷺ، وتفصد جبينه عرقاً، ورغا تعوا عند وجهه الكريم دوياً كدوي النحل، وهذا النوع من الوحي نزل القرآن الكريم كله، فعن الحارث بن هشام ﷺ أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول». قالت أم المؤمنين عائشة ﷺ: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً. رواهُ الْبُخَارِيُّ. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب بدئ الوحي. كيف كان بدئ الوحي إلى الرسول ﷺ؟. ج. ١: ٦. برقم ٢. وينظر: الزُّرْقَانِي. ١٣٩٢ هـ. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. ج. ١. ص. ٦٣.

(٣٥٠) أي: من غير معرفة كيفية تكلمه ﷻ، ولا السؤال عنها، ولا الخوض فيها، ونعتقد نفي الكيف فقط مع الإقرار بمعناها؛ وهو وأنه ﷻ تكلم على الكيفية التي تليق بجلاله.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ (القرآن. الكهف ١٨: ١٠٩). وقال ﷻ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ (القرآن. النمل ٢٧: ٦). وقال ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (القرآن. يوسف ١٢: ٢).

ولقد أعدَّ الرسول ﷺ أمّته بأن القرآن الكريم كلام الله ﷻ وأنه ليس له من أمره شيء؛ فقال ﷺ: «فَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى كَلَامِ خَلْقِهِ، كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ»(٣٥١)، وقال ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣٥٢).

ولما تقرر أن القرآن الكريم كلام الله ﷻ مُنزَّل للعالمين في كل مِصرٍ وعَصرٍ وحين؛ ولما تقرر أن تعريف المعجزة أنها أمرٌ خارق للعادة مقرونٌ بالتحدّي سالمٌ من المعارضة يُظهره الله على يد رسله ﷺ(٣٥٣)؛ وجب الإقرار أن القرآن الكريم مُعجزٌ للعالمين من أوجُهٍ عِدّة وفي كل اتجاه وفي كل حين؛ فوجوه الإعجاز في الذِّكر الحكيم لا تُعد ولا تُحد، وإنما تتّسع وتمتد؛ قال ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ... ﴿٥٣﴾ ﴾ (القرآن. فصلت ٤١: ٥٣).

فالقرآن الكريم مُعجزٌ بلفظه، ونظمه، وبلاغته، وبيانه، فقد تحدى الله ﷻ به العرب الذين نزل عليهم القرآن؛ وهم أفصح الثقلين في زمانهم وحينهم، وهم أهل للتحدي لبلاغتهم، فتحداهم الله ﷻ بأن يأتوا بعشر سور من مثل سور القرآن فقال ﷻ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ

---

(٣٥١) رواهُ الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل. ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م. *مسند الدارمي المعروف بـ سنن الدارمي*. تحقيق حسين سليم أسد. المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع. ج. ٤: ٢١١٤. برقم ٣٤٠٠. قال مُحقّقهُ: إسناده حسن وهو مرسل.

(٣٥٢) رواهُ البُخاريُّ. ١٤٢٢ هـ. *صحيح البخاري*. كتاب فضائل القرآن. باب كيف نزل الوحيُ، وأوّلُ ما نزل. ج. ٦: ١٨٢. برقم ٤٩٨١.

(٣٥٣) يُنظر: جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م. *الإتقان في علوم القرآن*. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج. ٤. ص. ٣.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (القرآن، هود ١١: ١٣ – ١٤). ثم تحداهم الله ﷻ بأن يأتوا بسورة واحدة تخفيفاً لهم فقال ﷻ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القرآن، البقرة ٢: ٢٣) ومع ذلك فشلوا في التحدي وخابوا وخسروا، ومن يأتي بعد العرب الفصحاء فهو أعجز عن هذا التحدي من باب أولى ولو كان بعضهم لبعض نصيراً وظهيرا! قال ﷻ مُتحدياً الثقلين إنسَهُم وجنّهُم بعربهم وعجمهم: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (القرآن، الإسراء ١٧: ٨٨).

والقرآن الكريم مُعجزٌ ومتفوق بتشريعاته وأحكامه في جميع مناحي الحياة على جميع التشريعات المنسوخة والدساتير الوضعية الممسوخة؛ فهو الحكم المنير ودستور الدساتير، قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ... ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ... ﴿٤٩﴾ ﴾ (القرآن، المائدة ٥: ٤٨ – ٤٩).

فالقرآن الكريم أُنزل ليحكم الأفراد والمجتمعات في مختلف مجالات الحياة؛ وذلك لإعجاز تشريعاته واتصافها بمزايا عدة وصفات لا تصدر إلا من حكيم خبير؛ فمصدرها إلهية المصدر فلا نقص ولا جهل فيها ولا تناقض ولا اضطراب فيها، ولا هوى ولا تحيز فيها، قال ﷻ: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (القرآن، المائدة ٥: ٥٠)

ومن إعجاز تشريعات القرآن الدالة على إلهية مصدره؛ شموليتها لجميع مناحي الحياة البشرية: العقدية والأخلاقية والتشريعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية...، قال ﷻ: ﴿ ... وَنَزَّلْنَا

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ... ﴿٨٩﴾﴾ (القرآن. النحل ١٦: ٨٩) ومن صفات تشريعات القرآن التيسير، والترخص، ورفع الحرج، قَالَ ﷻ: ﴿...وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ... ﴿٧٨﴾﴾ (القرآن. الحج ٢٢: ٧٨).

ومن معجزات القرآن الكريم الشاهدة على إلهية مصدره؛ أنَّه شفاء للأرواح والأجساد، قَالَ ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ (القرآن. الإسراء ١٧: ٨٢). ومن إعجاز القرآن أنَّه غذاء للعقول، وراحة واطمئنان للقلوب، قَالَ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ (القرآن. الرعد ١٣: ٢٨). فقراءة القرآن وسماعه فيها من الراحة النفسية واللذة الجسدية ما هو مشاهد محسوس لكل من قرأه بتدبر وخشوع، قَالَ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ (القرآن. الزمر ٣٩: ٢٣).

ومن معجزات القرآن الكريم الشاهدة على إلهية مصدره؛ أنَّه لا تنقضي عجائبه، ولا تنفد علومه وفنونه؛ فما زال العلماء والخبراء يكتشفون العلوم وحقائق الأشياء؛ فإذا هم يكتشفون أن لها ذكراً في القرآن من قبل ألف وأربعمائة سنة، وذلك مصداق قوله ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ (القرآن. فصلت ٤١: ٥٣).

ومن معجزات القرآن الكريم الشاهدة على إلهية مصدره، وربانية مخرجه؛ إعجازه بأخباره وقَصَصه التاريخية الصحيحة والموثوقة، وبأنبائه المستقبلية وتنبؤاته الغيبية التي وقعت ومازالت تقع كفلق الصبح، قَالَ ﷻ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ

هَٰذَا فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ (القرآن. هود ١١: ٤٩). وقَالَ ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ (القرآن. ص ٣٨: ٦٧).

الخُطْوَةُ الثَّانِيَةُ: الإِعْدَادُ بِعُمُومِيَّةِ وشُمُولِ رِسَالَةِ القُرْآنِ؛ وأَنَّهُ خَاتِمٌ لِكُتُبِ الأَدْيَانِ، وشَرَائِعِ الإِنْسَانِ.

ويتحقق الإِعْدَادُ بِعُمُومِيَّةِ وشُمُولية القُرْآنِ الكريم؛ بالتصديق الجازم والإقرار الكامل بأن القرآن الكريم كتاب عامّ مُنَزَّل للثقلين، وفي كل زمان ومكان، قَالَ ﷻ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (القرآن. التكوير ٨١: ٢٧).

فالقرآن الكريم أنزل لهداية الإنس، قَالَ ﷻ: ﴿الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (القرآن. البقرة ٢: ١٨٥). بل أُنزِلَ القرآن الكريم كذلك لهداية وإرشاد الجَانّ، قَالَ ﷻ عن هداية القرآن لعالم الجان: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ (القرآن. الجن ٧٢: ١ - ٢).

ومن عُمُومِيَّةِ وشُمُولية القُرْآنِ الكريم أنَّه أحكامه وشريعته تشمل من وُجِدَ ومن سَيُوجد، قَالَ ﷻ: ﴿... وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ... ﴿١٩﴾﴾ (القرآن. الأنعام ٦: ١٩). أي: "لأنذركم به يا أهلَ مكةَ؛ وسائرَ مَنْ بلغه من الأسود، والأحمرِ، أو من الثقلَيْن، أو لأنذركم به أيها الموجودون ومَنْ سيوجد إلى يوم القيامة؛ وهو دليلٌ على أن أحكام القرآن تعمُّ الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بَعْدُ إلى يوم القيامة"(٣٥٤).

والقرآن الكريم مع عموميته للثقلين؛ فهو شامل لاحتياجاتهم، وحياتهم الدنيوية والأخروية، قَالَ ﷻ: ﴿... مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ... ﴿٣٨﴾﴾ (القرآن. الأنعام ٦: ٣٨). قَالَ ﷻ: ﴿... وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ

---

(٣٥٤) أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى. د.ت. تفسير أبي السعود. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج. ٣. ص. ١١٨.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا... ﴿١١٤﴾ ﴾ (القرآن. الأنعام ٦: ١١٤). أي: "ما ضيعنا في الكتاب مما قد يقع لكم الحاجة إليه أو منفعة إلا قد بيناه لكم في القرآن"(٣٥٥).

وعمومية القرآن الكريم وشموله؛ تستلزم أنّه آخر الكتب السماوية، وخاتمها، ومصدقها، وناسخ لها، ومهيمن عليها، قَالَ ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ... ﴿٤٨﴾ ﴾ (القرآن. المائدة ٥: ٤٨). فلا حاجة للبشرية؛ لكتاب آخر بعد عموم رسالة القرآن الكريم، وشمولها، وهيمنتها؛ فرسولها ﷺ خاتم الرُّسل والأنبياء، ودينه خاتم الأديان، وأمته خاتمة الأمم، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (القرآن. سبأ ٣٤: ٢٨). أي: "إلّا إرسالة عامّةً لهم محيطة بهم، لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم"(٣٥٦).

وإن مما يدل على عمومية القرآن الكريم وشموله؛ أن شريعته كاملة لا نقص فيها ولا خلل، قال ﷻ: ﴿... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا... ﴿٣﴾ ﴾ (القرآن. المائدة ٥: ٣). قَالَ الإمام الراغب في تفسيره(٣٥٧): وهذا هو الذي اقتضى أن تكون شريعته -أي ﷺ- مؤبّدةً لا نسخ ولا تغيير، فالأشياء في التغيير والتنقل ما لم تكمل؛ فإذا كملت فتغيرها فسادٌ لها... وهذا الدين بعد أن شُرِّعَ مُرتضىً في كل وقت، ولهذا قَالَ ﷺ في موسى عليه السلام: «لو كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني»(٣٥٨).

---

(٣٥٥) الماتريدي. ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م. *تفسير الماتريدي أو تأويلات أهل السنة*. ج. ٤. ص. ٨٠.

(٣٥٦) الزمخشري. ١٤٠٧ هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ٣. ص. ٥٨٣.

(٣٥٧) الراغب الأصفهاني. ١٤١٢ هـ. *المفردات في غريب القرآن*. ج. ٤. ٢٦٧. بتصرف يسير.

(٣٥٨) رواهُ أحمد بن حنبل. ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. ج. ٢٣: ٣٤٩. حسنه الألباني بمجموع طرقه. *انظر*: الألباني، محمد ناصر الدين. ١٤٠٥ هـ. *إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل*. بيروت: المكتب الإسلامي. ج. ٦. ص. ٣٤.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

فتشريعات الرحمن في القرآن؛ جاءت لتُلغي وتهيمن على تشريعات الإنسان القاصرة؛ قَالَ ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (القرآن. آل عمران ٣: ٨٥). فالحكم للقرآن الكامل في جميع حياة الإنسان؛ فلا دساتير وضعية وضيعة، ولا قوانين جاهلية سخيفة أفضل من الشريعة، قَالَ ﷻ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (القرآن. المائدة ٥: ٥٠).

الخُطْوَةُ الثَّالِثَةُ: الإِعْتِقَادُ بِالإِيمَانِ؛ بِأَنَّ القُرآنَ مَحفُوظٌ مِنَ التَّحرِيفِ، والتَّبدِيلِ، والزِّيَادَةِ، والنُّقصَان.

ويتحقق الإعْتِقَادُ بحصانة القُرآنِ الكريم؛ بالتصديق الجازم والإقرار الكامل بأن القرآن الكريم محفوظ من أي تحريف وتبديل، أو زيادة ونقصان، في كل مكان وزمان؛ وهذا من لوازم الاعتقاد بأن القرآن خاتم ومهيمنٌ على كتب الأديان، فالله ﷻ قد تكفل بحفظ القرآن الكريم لديمومته، وأوكل حفظه إلى نفسه وحده لا شريك له؛ وما حفظه الله ﷻ فقد حُفِظ.

فلقد حفظ الله ﷻ القرآن الكريم وكلامه العظيم قبل نزوله على سيد المرسلين؛ في اللوح المحفوظ في أطهر الأماكن وأرفعها؛ بأيدي ملائكة أمناء بررة؛ فقَالَ ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ (القرآن. عبس ٨٠: ١١ – ١٦). أي: صحف "مرفوعة عند ربك هنالك مطهرة، لا يمسها إلا المطهرون"(٣٥٩)؛ يعني: في اللوح المحفوظ، وهو الموضع المطهر عند الله"(٣٦٠).

---

(٣٥٩) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور. د.ت. *معاني القرآن*. تحقيق أحمد يوسف النجاتي وآخرون. مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة. ج. ٣. ص. ٢٣٦.

(٣٦٠) الطبري. ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م. *جامع البيان في تأويل القرآن*. ج. ٢٤. ص. ٢٢١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ولقد حفظ الله ﷻ القرآن الكريم عند تنزُّله؛ بحراسة السماوات والأرضين من مردة الجن، والشياطين المفسدين؛ القائلين قبل أن يصيروا مؤمنين: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ (القرآن. الجن ٧٢: ٨ – ٩).

ولقد حفظ الله ﷻ القرآن الكريم بإسناد مهمة تنزيله لملك قوي، وأمين؛ وهو جبريل عليه السلام ذو شأنٍ مكين؛ قال ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣﴾ (القرآن. الشعراء ٢٦: ١٩٢). ومن أوصافه وميزاته؛ أنَّه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾ (القرآن. التكوير ٨١: ١٩ – ٢١).

ولقد حفظ الله ﷻ القرآن الكريم؛ بحراسته بملائكة الرصد[٣٦١] الراصدين لمردة الجن، والشياطين المفسدين. فكلام الله عظيم، وغيبه عزيز؛ لا يطلع على غيبه أحداً؛ إلا من ارتضى من المرسلين، قال ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ۝٢٨﴾ (القرآن. الجن ٧٢: ٢٨).

فبواسطة جبريل القوي الأمين، وحراسة السماوات والأرضين؛ بالشهب الراصِدَة، والملائكة الرَّصَدَة للشياطين؛ حفظ الله ﷻ القرآن الكريم عند نزوله جملة واحدة؛ من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة[٣٦٢] في السماء الدنيا في ليلة القدر، قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ (القرآن. القدر ٩٧: ١). وكذلك عند تنزُّله

---

(٣٦١) ملائكة الرصد: وهم ملائكة حراس للوحي الإلهي؛ بحرسون جبريل عليه السلام؛ عند نزوله بالقرآن. وبحرسون الرسول ﷺ عند تلقيه الوحي بالقرآن؛ بحرسونهم من استراق الشياطين ووسوستهم وخلطهم. يُنظر: القرطبي. ١٣٨٤ هـ. *الجامع لأحكام القرآن*. ج. ١٩. ص. ٢٩.

(٣٦٢) بيت العزة: موضع في السماء الدنيا حيال الكعبة؛ حفظ الله ﷻ فيه القرآن الكريم. يُنظر: أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل. ١٣٩٥ هـ. *المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز*. تحقيق طيار آلتي قولاج. بيروت: دار صادر. ج. ١. ص. ٢٣.

على قلب سيد المرسلين ﷺ، قال ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾ (القرآن، الشعراء ٢٦: ١٩٢ – ١٩٤)

ولقد حفظ الله ﷻ القرآن الكريم بإنزاله على الصادق الأمين محمد ﷺ مُفرقاً مفصلاً على مدار ثلاث وعشرين سنة؛ ليُبَلِّغَه للناس على تَمَهُّلٍ وتُؤَدةٍ ليتمكنوا من حفظه وفهمه، فقال ﷻ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ (القرآن، الإسراء ١٧: ١٠٦) ولشدة حرص الرسول الأمين ﷺ على حفظ القرآن الكريم كان يعجل به، فطمأنه الله ﷻ أنه متكفل بحفظ القرآن، فقال ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ (القرآن، القيامة ٧٥: ١٦ – ١٩)

ولقد أدى الرسول ﷺ الأمانة، وبلّغ الرسالة كما تلقاها؛ فلم يزِدْ فيها حرفاً من عنده أو يُنقص؛ بشهادة رب العالمين حيث قال ﷻ: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٣ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾ (القرآن، الحاقة ٦٩: ٤٣ – ٤٨)

ولقد حفظ الله ﷻ القرآن الكريم بتيسير حفظه في الصدور والسطور؛ فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ (القرآن، القمر ٥٤: ١٧) وقال ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٩﴾ (القرآن، العنكبوت ٢٩: ٤٩) فلقد حفظ الله ﷻ القرآن الكريم؛ بأن يسر له أُمّة محمد ﷺ لتؤمن به وتجمعه وتحفظه وتبلّغه بالتواتر؛ حتى مدحهم الله ﷻ لإيمانهم به، وحفظهم له؛ فقال ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ ...﴾ (القرآن، البقرة ٢: ٢٨٥).

ثم وعد الله ﷻ بحفظ القرآن الكريم إلى قيام الساعة؛ بقوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ (القرآن، الحجر ١٥: ٩). أي: أن الله ﷻ "هو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف

وتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة، فإنه لم يتولَّ حفظها؛ وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغياً؛ فكان التحريف، ولم يَكِل القرآن إلى غير حفظه ﷻ"(٣٦٣).

فالحمد لله المنان على نعمة حفظ القرآن؛ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ (القرآن. الأنعام ٦: ١١٥). أي: أن كلمات الله العظيمة؛ "لا أحد يبدل شيئاً منها بما هو أصدق وأعدل، أو لا أحد يقدر أن يحرفها شائعاً ذائعاً كما فُعِلَ بالتوراة... فيكون ضَمَاناً لها من الله سبحانه وتعالى بالحفظ"(٣٦٤).

الخُطْوَةُ الرَّابِعَةُ: الإِعْدادُ بِالتَّعَبُّدِ بِتِلاوَةِ القُرْآنِ وَتَدَبُّرِهِ والعَمَلِ بِهِ والانْقِيادِ لَهُ وتَحْكِيمِهِ في جميع الشأن.

يتحقق الإعْدادُ بِالتَّعَبُّدِ بِتِلاوَةِ القُرْآنِ، بإعداد المسلم إعداداً علمياً وعملياً بتلاوة القرآن الكريم؛ تلاوة تعبد وثواب، وتلاوة تدبر وتفكر وحساب، وتلاوة عمل واتباع، وتلاوة تحكيم وانقياد.

فتلاوة التعبد؛ من أعظم خصائص القرآن الكريم التي يختص بها؛ وهي أنَّه مُتعبَّدٌ بتلاوته في سائر العبادات والشرائع؛ فضلا عن الأجر والثواب المرجو بتلاوته؛ أي أن تلاوته قد تكون شرطاً وركناً في بعض العبادات، وقد تكون سنة في البعض الآخر، مثل الصلاة التي هي عمود الدين؛ وصفها الله ﷻ بأنها قرآن مشهود فقال ﷻ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ (القرآن. الإسراء ١٧: ٧٨). وقد فسر المفسرون قرآن الفجر بصلاة الصبح، أي: "معناه وأقم قرآن الفجر؛ أي ما تقرأ به صلاة الفجر من القرآن"(٣٦٥).

---

(٣٦٣) الزمخشري. ١٤٠٧ هـ. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ج. ٢. ص. ٥٧٢.

(٣٦٤) البيضاوي. ١٤١٨ هـ. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. ج. ٢. ص. ١٧٩. بتصرف يسير.

(٣٦٥) الطبري. ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. جامع البيان في تأويل القرآن. ج. ١٧. ص. ٥٢٠.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

والصلاة بالعموم يجب فيها قراءة الفاتحة ركناً من أركانها باتفاق جمهور العلماء؛ فلا تصح الصلاة إلا بقراءتها؛ لقول الرسول ﷺ: «لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ»(٣٦٦). وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله هذا الحديث بقوله: "بَابُ وُجُوبِ القِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا"(٣٦٧).

أما التلاوة لنيل الأجر والثواب؛ فهي عامة في أي وقت وحين؛ في العبادات وخارجها، وقد وردت نصوص شرعية من آيات وأحاديث نبوية كثيرة ترتب الأجر والثواب المتنوع لقارئ القرآن وتاليه ومستمعه؛ فمنها على سبيل التمثيل:

- منها أن تلاوة القرآن؛ تُحقق الإيمان، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ (القرآن. البقرة ٢: ١٢١).
- ومنها أن تلاوة القرآن؛ تُحقق زيادة الإيمان وقوته، وتحقيق حسن التوكل على الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (القرآن. الأنفال ٨: ٢).
- ومنها أن تلاوة القرآن؛ تُحقق الهداية والخشوع وخشية الرحمن، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القرآن. الزمر ٣٩: ٢٣).
- ومنها أن تلاوة القرآن؛ يُستنزل بها الرحمات والبركات، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ (القرآن. الأعراف ٧: ٢٠٤).

---

(٣٦٦) رواه البخاري. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب الأذان. باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها. ج. ١: ١٥٢. برقم ٧٥٦.

(٣٦٧) المصدر نفسه. ج. ١: ١٥١.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

- ومنها أن تلاوة القرآن؛ تحفظ قارئ القرآن في الدنيا من كل شر وسحر؛ ببركة قراءته، قَالَ ﷺ: «اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ». قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ[٢٦٨].

- ومنها أن تلاوة القرآن؛ علامة على حياة القلب وعمرانه بالإيمان؛ فهو من أفضل الذكر؛ قَالَ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ»[٢٦٩].

- ومنها أن تلاوة القرآن؛ تُكاثِرُ الحسنات، لقوله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»[٢٧٠].

- ومنها أن تلاوة القرآن؛ ترفع درجات العباد في الجنان، قال ﷺ: «يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»[٢٧١].

- ومنها أن تالي القرآن؛ يقال شفاعته يوم القيامة، قال ﷺ: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»[٢٧٢].

---

(٢٦٨) رواهُ مُسْلِمٌ. ١٣٧٥ هـ. صحيح مسلم. كتابُ صلاةِ المُسافرين. بابُ فضلِ قراءةِ القرآنِ، وسورةِ البقرة. ج. ١: ٥٥٣. برقم ٨٠٤.

(٢٦٩) رواهُ البُخاريُّ. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتابُ الدَّعَوات. بابُ فضلِ ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ. ج. ٨: ٨٦. برقم ٦٤٠٧.

(٢٧٠) رواهُ التِّرمذي. ١٣٩٥هـ. سنن *الترمذي*. ج. ٥: ١٧٥. برقم ٢٩١٠. وصححه الألباني. يُنظر: الألباني. ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م. *سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها*. ج. ٧: ٩٧٠. برقم ٣٣٢٧.

(٢٧١) رواهُ أبو داود. د.ت. سنن *أبي داود*. ج. ٢: ٥٩٢. برقم ١٤٦٤. قال مُحققهُ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح لغيره.

(٢٧٢) رواهُ مُسْلِمٌ. ١٣٧٥ هـ. صحيح مسلم. كتابُ صلاةِ المُسافرين. بابُ فضلِ قراءةِ القرآنِ، وسورةِ البقرة. ج. ١: ٥٥٣. برقم ٨٠٤.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

- ومنها أن تلاوة القرآن؛ تحفظ تاليه من الشياطين، وتغيظ إبليس اللعين، قالَ ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ؛ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلِي؛ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ»(٢٧٣).

وغيرها الكثير من الآيات والأحاديث في فضل قراءة القرآن، ويكفي قُرّاء القرآن ومستمعوه فضلاً أنهم من أهل الله وخاصته، قَالَ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ». قيلَ: يا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: «أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ»(٢٧٤).

أما الإعداد بقراءة القرآن الكريم قراءة تدبر وتفكر؛ فتتحقق بتعلم القرآن وتعليمه، وفهم معانيه وتفسيره، ومدارسته، وحفظه وتحفيظه، قالَ الله ﷻ مُعِدّاً رسوله ﷺ وعباده المؤمنين بتدبر القرآن: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ (ص: ٣٨: ٢٩). "وَالتَّدَبُّرُ: التَّفَكُّرُ وَالتَّأَمُّلُ الَّذِي يَبْلُغُ بِهِ صَاحِبُهُ مَعْرِفَةَ الْمُرَادِ مِنَ الْمَعَانِي"(٢٧٥).

ولقد ذم الله ﷻ الذين لا يتدبرون القرآن، وأنكر عليهم بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ (القرآن، محمد ٤٧: ٢٤).

---

(٢٧٣) المصدر نفسه. كتاب الإيمان. باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة. ج: ١: ٨٧. برقم ٨١.

(٢٧٤) رواه البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م. شعب الإيمان. تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع. ج: ٤: ٢٢٦. برقم ٢٤٣٤. وصححه الألباني في صحيح الجامع. ينظر: الألباني. د.ت. صحيح الجامع الصغير وزياداته. ج: ١: ٤٣٢. برقم ٢١٥٩.

(٢٧٥) ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج: ٢٣. ص: ٢٥٢.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وقَالَ ﷺ مُعِدًّا أمّته بتعلم القرآن الكريم وتعليمه وتدبره: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٣٧٦).

وقَالَ ﷺ: «فَلَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَيَتَعَلَّمَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ».(٣٧٧)

ولقد وعد الرسول ﷺ المعلمين والمتعلمين لكتاب الله الذين يتدارسونه بينهم بجوائز عظيمة فقَالَ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»(٣٧٨).

أما الإعداد بتلاوة القرآن تلاوة عمل واتباع؛ فتتحقق بالائتمار بأوامره، والانتهاء عن نواهيه، واتباع تشريعاته، والعمل بأحكامه على أرض الواقع وكمنهج حياة، وعلى هذا أعَدّ الله ﷻ رسوله ﷺ حتى كان وكأنه قرآن يمشي على الأرض؛ فهذه أم المؤمنين عائشة ﷺ لما سئلت عن خُلُقِ النبي ﷺ قَالَت: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أما تقرأ الْقُرْآنَ، قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ (القرآن، القلم ٦٨: ٤)."(٣٧٩). قَالَ الإمام النووي ﷺ: "مَعْنَاهُ الْعَمَلُ بِهِ، وَالْوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ، وَالِاعْتِبَارُ بِأَمْثَالِهِ وَقَصَصِهِ، وَتَدَبُّرُهُ، وَحُسْنُ تِلَاوَتِهِ"(٣٨٠).

---

(٣٧٦) رواهُ البُخاريُّ. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب فضائل القرآن. باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه. ج. ٦: ١٩٢. برقم ٥٠٢٧.

(٣٧٧) رواهُ أحمد بن حنبل. ١٤١٦ هـ. مسند الإمام أحمد بن حنبل. ج. ٢٨: ٦٢٧. قال مُحَقِّقُهُ شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح.

(٣٧٨) رواهُ مُسْلِمٌ. ١٣٧٥ هـ. صحيح مسلم. كتاب الذكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار. باب فضل الاجتماع على تلاوة القُرْآن وعلى الذِّكر. ج. ٤: ٢٠٧٤. برقم ٢٦٩٩.

(٣٧٩) رواهُ أحمد بن حنبل. ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م. مسند الإمام أحمد بن حنبل. ج. ٤١: ١٤٩. وهو في صحيح مسلم بلفظ مقارب.

(٣٨٠) النووي. ١٣٩٢ هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج. ٦. ص. ٢٦.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وبتلاوة العمل والاتباع أُعِدَّ الصحابة خطوة بخطوة؛ كما صرح بذلك الصحابي الفقيه عبد الله بن مسعود ﷺ بقوله: "كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنَّ حتى يعرف معانيهِنَّ، والعملَ بهنَّ"(٣٨١).

وبتلاوة العمل والاتباع ينال العبد شفاعة القرآن يوم القيامة، قالَ ﷺ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ؛ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ... كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، ...، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»(٣٨٢). أي: الذي اتبع أوامرهما وعمل بأحكامهما.

وأخيراً؛ الإعداد بقراءة القرآن قراءة تحكيم له وانقياد، فلم يُنزَلُ القرآن ليُعَلَّقَ على الصدور والجُدران، ولا ليُقرأ في المآتم والأحزان، ولا لتُحفظ حُروفُه وتُضيَّعَ حدودُه، وإنما أُنزِلَ القرآن ليحكمَ البلادَ وينقادَ لِحُكمِهِ العباد، قَالَ أحكم الحاكمين ﷻ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ (القرآن، النساء، ٤: ١٠٥)

بل ما أنزل الله ﷻ على رسول من شريعة في كتاب؛ إلا ليُحكِّم أمر الله ﷻ بين العباد، وليُحْكَمَ بأحكامه البلاد، قَالَ من له الأمر والحكم: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ...﴾ (القرآن، البقرة ٢: ٢١٣).

وبحكم القرآن الكريم وتحكيمه أعَدَّ الله ﷻ رسوله ﷺ فقال له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ

---

(٣٨١) رواهُ الطبري. ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. جامع البيان في تأويل القرآن. ج. ١. ص. ٨٠. قالَ مُحَقِّقُهُ أحمد شاكر: هذا إسناد صحيح. وهو موقوف على ابن مسعود ﷺ، ولكنه مرفوع معنىً، لأن ابن مسعود ﷺ إنما تعلم القرآن من رسول الله ﷺ. فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النبوي المنير.

(٣٨٢) رواهُ مُسْلِمٌ. ١٣٧٥ هـ. صحيح مسلم. كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا. بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَسُورَةِ الْبَقَرَةِ. ج. ١: ٥٥٤. برقم ٨٠٥.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وبتلاوة العمل والاتباع أُعِدَّ الصحابة خطوة بخطوة؛ كما صرح بذلك الصحابي الفقيه عبد الله بن مسعود ﷺ بقوله: "كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنَّ حتى يعرف معانيهِنَّ، والعملَ بهنَّ"(٣٨١).

وبتلاوة العمل والاتباع ينال العبد شفاعة القرآن يوم القيامة، قَالَ ﷺ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ؛ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ...كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، ...، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»(٣٨٢). أي: الذي اتبع أوامرهما وعمل بأحكامهما.

وأخيراً؛ الإعداد بقراءة القرآن قراءة تحكيم له وانقياد، فلم يُنزَلُ القرآن ليُعَلَّقَ على الصدور والجُدران، ولا ليُقرأَ في المآتم والأحزان، ولا لتُحفظَ حُروفُه وتُضبَّعَ حدودُه، وإنما أُنزِلَ القرآن ليحكمَ البلادَ وينقادَ لِحُكمِهِ العباد، قَالَ الحاكمُ ﷻ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ (القرآن، النساء، ٤: ١٠٥)

بل ما أنزل الله ﷻ على رسول من شريعة في كتاب؛ إلا ليُحكِّم أمر الله ﷻ بين العباد، ولتُحكَم بأحكامه البلاد، قَالَ من له الأمر والحكم: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ...﴾ (القرآن، البقرة ٢: ٢١٣).

وبحكم القرآن الكريم وتحكيمه أعَدَّ الله ﷻ رسوله ﷺ فقال له: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ

---

(٣٨١) رواهُ الطبري. ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. جامع البيان في تأويل القرآن. ج. ١. ص. ٨٠. قالَ مُحَقِّقُهُ أحمد شاكر: هذا إسناد صحيح، وهو موقوف على ابن مسعود ﷺ، ولكنه مرفوع معنىً، لأن ابن مسعود ﷺ إنما تعلم القرآن من رسول الله ﷺ. فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النبوي المنير.

(٣٨٢) رواهُ مُسْلِمٌ. ١٣٧٥ هـ. صحيح مسلم. كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا. بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَسُورَةِ الْبَقَرَةِ. ج. ١: ٥٥٤. برقم ٨٠٥.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَّيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (القرآن. المائدة ٥: ٤٨ – ٤٩).

ولقد امتثل الرسول ﷺ لأمر ربه بتحكيم القرآن الكريم في نفسه وأمته؛ فقال: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ... ﴿١١٤﴾ ﴾ (القرآن. الأنعام ٦: ١١٤).

فإذا أرادت الأمة الإسلامية التخلص من ذُلِّها، والنهوض من ضعفها، والرفعة لمجدها؛ فعليها الإعداد بتحكيم القرآن والانقياد له، قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».(٣٨٣)

فعلينا بالإعداد والاستعداد بتلاوة القرآن الكريم تعبدا، وتدبرا، وعملا، وتحكيماً، وانقياداً؛ لكي نسعد في الدنيا والآخرة، ولكيلا نكون من القوم الذين شكاهم الرسول ﷺ لربه فقال: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (القرآن. الفرقان ٢٥: ٣٠) وقال ﷺ: «إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»(٣٨٤).

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

ثَمَارُ الإِعْدَادِ بِالإِيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرُسُلِهِ

(٣٨٣) رواهُ مُسْلِمٌ. ١٣٧٥ هـ. صحيح مسلم. كتابُ صَلاةِ الْمُسَافِرِينَ وقصرها. بابُ فضلِ مَنْ يقُومُ بِالْقُرْآنِ. ج. ١: ٥٥٩. برقم ٨١٧.

(٣٨٤) رواهُ أحمد بن حنبل. ١٤١٦ هـ. مسند الإمام أحمد بن حنبل. ج. ٢: ٤٥٩. برقم ١٩٤٥. قالَ مُحَقِّقُهُ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

إن للإعداد بالإيمان بكتب الله ﷻ ورسالاته ثمار عظيمة، وآثار جليلة، يتذوقها المؤمن في الدنيا قبل الآخرة؛ لما في كتب الله ﷻ ورسالاته من الخير الكثير، والهداية والنور؛ للإنسانية جمعاء، وتحفيزاً للمؤمن للإعداد والاستعداد بالإيمان بالكتب والرسالات؛ نذكر بعضاً من ثمار الإيمان بها:

١. **الإعْدَادُ بالإيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالاتِه؛ يُثمِرُ حُبَ الله ﷻ؛ للطفه بالعباد وإحاطتهم بالعنايات:**

﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ... ﴿١٩﴾ ﴾ (القرآن. الشورى ٤٢: ١٩). فالله ﷻ لطيف بعباده؛ حيث أنزل كُتُباً ورسالات تتضمن شرائع وهدايات؛ تتناسب مع جميع الطاقات، وتلبي جميع الاحتياجات في كل زمان ومكان، ولمختلف الشعوب والأمم والأقوام، قال ﷻ: ﴿ ... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا... ﴿٤٨﴾ ﴾ (القرآن. المائدة ٥: ٤٨).

ومن حكمته ورحمته ﷻ بعباده؛ أن أنزل على كل قوم شريعة بلسانهم لطفاً بهم وهداية لهم، قال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ... ﴿٤﴾ ﴾ (القرآن. إبراهيم ١٤: ٤). فإذا عرف العبد مدى اللطف من إنزال الكتب والرسالات؛ زاد حبه لربه وكان عنده أفضل المحبوبات.

٢. **الإعْدَادُ بالإيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالاتِه؛ يُثمِرُ شُكرَ المُنعِمِ العَدلِ ربِّ البريات:**

المسلم الحق يستشعر نعمة الله ﷻ وعظمة عدله في خلقه؛ حيث أنزل عليهم الكتب والرسالات لهدايتهم، وإقامة الحجة عليهم، فالله ﷻ المنعم العدل لم يخلق الخلق عبثا تتخطفهم الأهواء

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

والشبهات، وتتقاذفهم الميول والرغبات، بل هيأ لهم سبيل الفلاح والرشاد، وبعث فيهم الرسل والرسالات، فمن تأمل حال الذين لا يؤمنون بالكتب ولا ينقادون لها، وما هم فيه من تيه السبيل وضلال الهدف وانعدام الغاية؛ عرف فضل الله ﷻ وشكره على إنزال الكتب والرسالات، قال ﷻ: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ (القرآن. الملك ٦٧: ٢٢).

٣. **الإعْدَادُ بالإيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالاتِه؛ يُثمِرُ تعظيم الأنبياء ورفع بعضهم فوق بعض درجات:**

لقد اختص الله ﷻ بعض رُسُله ﷺ بإنزال الكتب والصحف والرسالات؛ لمزيد فضلهم ولرفع بعضهم فوق بعض درجات، قال ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ... ﴿٢٥٣﴾﴾ (القرآن. البقرة ٢: ٢٥٣). وقال ﷻ: ﴿... وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ (القرآن. الإسراء ١٧: ٥٥).

فاختص الله ﷻ إبراهيم الخليل عليه السلام بالصحف الطاهرات، وآتى موسى عليه السلام ألواح التوراة، وفضل داوود عليه السلام بالزبور، وآتى عيسى بن مريم عليه السلام الإنجيل بينات، ثم ختمهم بخاتم الرسل والرسالات محمد ﷺ خير الكائنات، فآتاه القرآن الكريم؛ المهيمن على الكتب والرسالات، قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ... ﴿٤٨﴾﴾ (القرآن. المائدة ٥: ٤٨).

٤. **الإعْدَادُ بالإيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالاتِه؛ يُثمِرُ تحقيق توحيد الله ﷻ وأن كلامه من الصفات:**

المؤمن بالكتب والرسالات؛ وأنها يُصَدِّقُ بعضُها بعضاً، وأنها جميعُها تدعوا إلى توحيد الله ﷻ وحده لا شريك له، وتدعوا إلى توحيد الناس بوحدة الدين وعقيدة رسل رب العالمين؛ فإنه يوقن

بالتوحيد ويزداد إيمانه قُوةً وثباتاً، قال ﷻ: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ... ﴿١٣﴾ ﴾ (القرآن. الشورى ٤٢: ١٣). والمؤمن بالكتب والرسالات؛ أنها كلام الله ﷻ ووحيه إلى رُسُله ﷺ؛ الذي أعجز المخلوقين على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا؛ يُثبتُ لله ﷻ صفة الكلام على الوجه الذي يليق به ﷻ، وأنه ليس ككلام المخلوقين، قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القرآن. الزمر ٣٩: ٢٣).

٥. **الإعْدَادُ بالإيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالَاتِه؛ يُثمِرُ الحصانة من الكفر والضلالات:**

إن كتب الله ﷻ ورسالاته؛ تُعدُّ دساتير هادية للبشر، تنير لهم حياتهم الدنيا والآخرة، وتحصنهم من الكفر والضلالات والعصيان، وتعصمهم من شياطين الإنس والجان.

وعدم الإعْدَادِ بالإيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالَاتِه؛ يؤدي إلى التِّيهَانِ، والضلال في الدنيا، والهلاك في الآخرة والخسران، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ (القرآن. النساء ٤: ١٣٦) فلقد قرن الله ﷻ الإيمان بكتبه ورسالاته بالإيمان به ﷻ، وقرن كذلك الكفر بكتبه ورسالاته بالكفر به ﷻ.

٦. **الإعْدَادُ بالإيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالَاتِه؛ يُثمِرُ منهج حياة على بصيرة وثبات:**

فالكتب والرسالات هي منهج حياة، وشرائع لتنظيم الذات والمجتمعات، فالإنسان بوصفه كائناً اجتماعي الطبع؛ فهو يحتاج إلى شريعة، ومنهج، وقوانين؛ لتنظم حياته وتحفظها من الفوضى

والنزاعات؛ قال ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾ (القرآن. الإسراء ١٧: ٩).

وتبرز ثمرة شريعة الكتب والرسالات؛ وأنها دستور لمنهج حياة؛ خاصة إذا كانت هذه الشريعة والقوانين تشريعاً إلهياً ربانياً صادراً من أحكم الحاكمين الخبير بعباده أجمعين، قال ﷻ: ﴿ ... وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠ ﴾ (القرآن. المائدة ٥: ٥٠). وقال ﷻ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤ ﴾ (القرآن. الملك ٦٧: ١٤).

٧. **الإعْدَادُ بالإيمانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالاتِهِ؛ يُثمِرُ الخير والبركات في المجتمعات:**

إن البركات المتحصّلة من الإيمان بالكتب والرسالات؛ هي بركاتٌ ربانية، وإنعاماتٌ إلهية، مُتحصّلةٌ من الانقياد لحكم أفضل الشرائع والدساتير، وأكملها، وأتقنها، وأشملها؛ كيف لا وهي مُنزّلةٌ مِنْ لَدُن حكيم خبير؟! قال ﷻ: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ (القرآن. هود ١١: ١). ومن صفات البركات المتحصّلة من الإيمان بالكتب والرسالات؛ أنها شاملة كاملة، وسماوية وأرضية، ومحسوسة وملموسة، قال ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ... ۝٩٦ ﴾ (القرآن. الأعراف ٧: ٩٦). وقال ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ... ۝٦٦ ﴾ (القرآن. المائدة ٥: ٦٦).

٨. **الإعْدَادُ بالإيمانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالاتِهِ؛ يُثمِرُ يقين المسلم باطّلاعِه على البشارات:**

لقد أعَدَّ الله ﷻ نبيه ﷺ والمؤمنين والمؤمنات؛ باليقين والثبات، وعدم الشك عند محاجة أهل الكتاب والديانات؛ وذلك لِمَا جاءت به كتب أهل الكتاب من بشارات، وأدلة

وإثباتات؛ على صدق نبوة الرسول محمد عليه أفضل الصلوات، قال ﷻ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ (القرآن، يونس ١٠: ٩٤). وقال ﷻ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ (القرآن، الرعد ١٣: ٤٣). وبهذا الإعداد استيقن الأنصار رضي الله عنهم صدق النبوة؛ حتى قال بعضهم لبعض عندما دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام: "وَاللهِ أَنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي تَوَعَّدَكُمْ بِهِ يَهُودُ، فَلَا يَسْبِقُنَّكُمْ إِلَيْهِ"[٣٨٥]؛ وقد كانت يهود قبل الإسلام يحدثون أهل يثرب بما جاء في كتبهم من صفات نبي آخر الزمان؛ كأسماء النبي ﷺ وأوصافه، وأوصاف أتباعه وأمته، وزمان ومكان بعثته.

٩. **الإِعْدَادُ بالإِيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ ورسالاته؛ يُثمِرُ ثبات المسلم باطِّلاعِه على الثقافات:**

إن الكتب السماوية والرسالات قد حوت الكثير من العلوم والمواعظ، والقصص والعجائب والثقافات؛ منها ما هو صريح موافق لشرعنا ومؤازر له مأمورين بتصديقه، ومنها ما هو محرَّفٌ مكذوبٌ مناقضٌ لشرعنا مأمورين بتركه وتكذيبه، ومنها ما هو مسكوتٌ عنه ليس من قبيل الأول ولا الثاني؛ فيجوز لنا روايته ثقافةً وعِظةً وعبرة، قال ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ

---

(٣٨٥) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ١٣٩٥ هـ. السيرة النبوية. تحقيق مصطفى عبد الواحد. بيروت: دار المعرفة. ج. ٢. ص. ١٧٦.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ (القرآن. يوسف ١٢: ١١١). وقال ﷺ: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ»(٣٨٦) وفي رواية «فَإِنَّهُ كَانَتْ مِنْهُمْ عَجَائِبُ الْأَعَاجِيبِ»(٣٨٧).

فبالاطلاع على قصص السابقين، وثقافات الأمم الغابرين، وسير الأنبياء والمرسلين، يزداد الذين آمنوا إيماناً وثباتاً ويقيناً، قال ﷻ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ (القرآن. هود ١١: ١٢٠).

١٠. الإعْدَادُ بالإيمَانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرِسَالَاتِهِ؛ يُثْمِرُ اعتزاز المسلم بأمّته وتحقيق الذات:

لقد اختص الله ﷻ أُمّة محمد ﷺ وأكرمها بالقرآن الكريم؛ الذي هو خير كتبه ﷻ والمهيمن عليها، وأعظم شرائع دينه وأيسرها، والمحفوظ من التبديل والزيادة والنقصان، وهداها للعمل به حتى غدت خير أُمّة أخرجت للناس.

فالقرآن الكريم أفضل الكتب والرسالات؛ فما من خير فيها إلا وورثه القرآن وزاد عليه، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴿٣٢﴾﴾ (القرآن. فاطر ٣٥: ٣٢). قال الإمام القرطبي ﷺ: "وَكَأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا أَعْطَى أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ، وَهُوَ قَدْ تَضَمَّنَ مَعَانِيَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ، فَكَأَنَّهُ وَرَّثَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْكِتَابَ الَّذِي كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا"(٣٨٨).

فالإسلام إذن رسالة أزلية للثقلين ضاربة في أعماق التاريخ، سطّرها الأنبياء، ودساتيرها الكتب والرسالات السماوية عبر الأزمان، فإذا أُعِدَّ المسلم لها؛ أدرك مُعتزاً أن رسالته الإسلاميّة

---

(٣٨٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب ما ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ج. ٤: ١٧٠. برقم ٣٤٦١.

(٣٨٧) رَوَاهُ أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم. ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. الأدب لابن أبي شيبة. تحقيق محمد رضا القهوجي. لبنان: دار البشائر الإسلامية. ص. ٢٣٢. برقم ٢٠٦. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة. يُنْظَرُ: الألباني. ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. ج. ٦: ١٠٢٨. برقم ٢٩٢٦.

(٣٨٨) القرطبي. ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م. الجامع لأحكام القرآن. ج. ١٤. ص. ٣٤٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الخاتمة؛ جامعة لكل الرسالات السماوية، وأن الأمة الإسلاميّة هي أولى الأمم بقيادة البشرية في مسيرتها إلى رب البرية؛ فيحمله ذلك الإدراك على الجِدّ والنشاط، وعلو الهمة، والإعداد والاستعداد؛ لِتَبُوءَ الخيريّة المقصودة في قوله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ۝١١٠﴾ (القرآن، آل عمران ٣: ١١٠).

خُلاصَةُ الفَصلِ الرّابع:

ناقش هذا الفصل؛ مَاهِيَّةَ الإعْدَادِ بالإيمان بِكُتُبِ الله ﷻ ورسالاته، وأهميته، وكَيْفِيَّة الإعْدَاد بالإيمان بكتب الله ﷻ ورسالاته عامة، وخاتمها القرآن الكريم خاصة؛ وذلك من خلال الإيمان بأن القرآن الكريم كلام الله ﷻ، وأنّهُ مُعجزٌ بلَفْظِه ونَظْمِه، وأنّهُ خاتمٌ ومُصَدِّقٌ، وناسخٌ لكل كتب الأديان عامة، ومُهيمنٌ عليها، وأنّهُ محفوظ من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان، وأنّه أُنزِلَ للتعبد بتلاوته، وتدبره والعمل به، والانقياد له وتحكيمه. ثم عرض مِمَارُ الإعْدَادِ بالإيمانِ بِكُتُبِ اللهِ ﷻ وَرُسُلِهِ.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA